

أوديل
وولرس
ربيكا
دوتريميه
جُحا وحِمارُه
في السُّوق
أكاديميا

جُحا وحِمارُه

في السُّوق

اقتباس

نادين خوري



ISBN: 978-9953-37-438-3

Author Odile Weulersse - Illustrator Rebecca Dautremer

أكاديميا إنترناشيونال، ص.ب. 6669-113 بيروت 2140 1103 لبنان

هاتف 800832 - 861178 - 800811 (9611) – فاكس 805478 (9611) بريد إلكتروني academia@dm.net.lb

www.academiainternational.com

أكاديميا

كانَ جُحا يَكنِسُ الفِناءَ أمامَ بَيْتِهِ بنَشاطٍ مُستفيدًا مِن بُرودةِ الصَّباحِ المُنْعِشَة، عِندما أطلَّتْ عَليهِ والِدَتُهُ مِن بابِ المنْزلِ بِفُسْتانِها الجَميلِ ووشاحِها المُرَقَّطِ بالأزهار. كانَت والدةُ جُحا بَدينَةً وقصيرةً بقَدْرِ ما كانَ زوجُها مُصْطَفى نَحيلاً وطَويلاً. فقالَتْ له:

- صَباحُ الخَيرِ يا بُنَيّ! هل شَرِبتَ حليبَ الإبِلِ؟

- لا، لم أشْرَبْهُ بَعْد!

- لقَد سبَقَ وأن طَلَبْتُ مِنْكَ ألاّ تَقومَ بأيِّ نَشاطٍ ومَعِدَتُكَ فارغة.
هَيّا الآنَ، جَهِّزْ نَفْسَك. فَسوْفَ تذهَبُ هذا الصباحِ إلى السُّوقِ بمُفرَدِكَ،
لأنَّ والِدَكَ قد لَوى كاحِلَه. وسيَكونُ عليكَ أن تَبيعَ المِشْمِشَ والبَيْض.
وبالمالِ الذي سَتجْنيهِ، سَوْفَ تَشْتَري العَسَلَ والثُّومَ وزيتَ الزَّيتونِ
حتّى أُحضِّرَ مِنها ضِمادةً أضَعُها على كاحِلِ والدِك.
اجلِبْ معَكَ أيضًا باذِنجانًا كي أُحضِّرَ لكَ مِنْهُ
طبَقًا لذيذًا مَخبوزًا معَ الجُبْنَةِ المَبْشورَة.
ولا تَذهَبْ مِن دونِ طاقِيَّتِك! هَيّا، أسرِعْ!
أينَ ذَهَبَ عقلُك؟





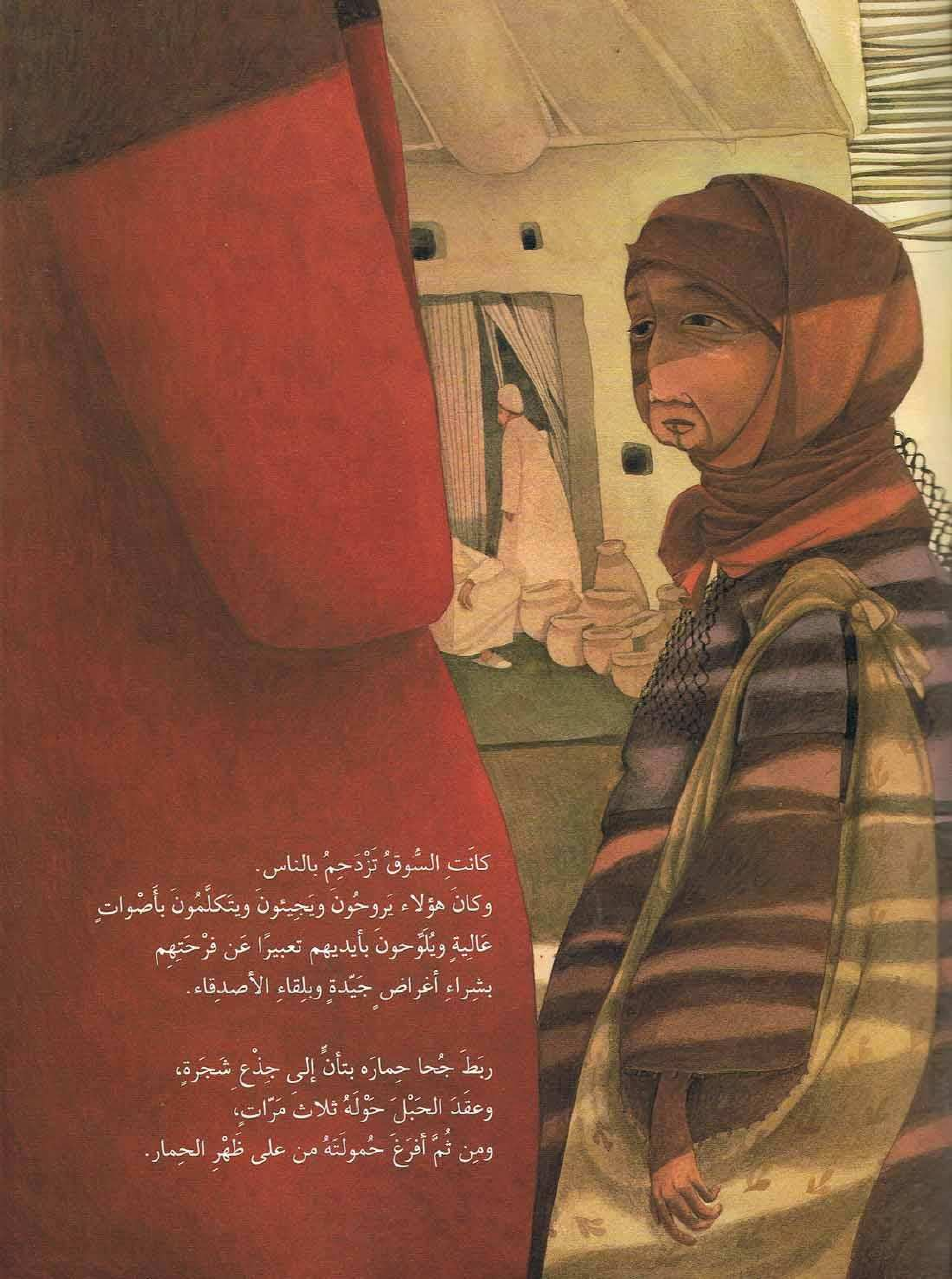
أخذَ جُحا يرْكُضُ في جميعِ الاتِّجاهاتِ كَي يُنفِّذَ ما طلَبَتْهُ مِنهُ والِدتُه.
وأخيرًا، وضَعَ على ظهْرِ حِمارِه سَلَّتَيْنِ مليئَتَيْنِ بالفاكِهةِ الذَّهَبيَّةِ اللَّونِ وغَطّاهُما بأربَعِ دَزِّيناتٍ مِنَ البَيْض.
ثُمَّ قالَ لوالِدَتِهِ وهو يَبتَعِدُ عَنِ المنْزِل: «ادْعِي لي بالتوفيق!»
فَدَعَتْ له والدتُه وأوْصَتْهُ قائِلَةً: «عُدْ بِسُرعة.»

كانَ الحَرُّ شَديدًا، والغُبارُ يتطايَرُ على الطَّريقِ مع كُلِّ نَسْمَةِ هَواء.
وكانَ جُحا يَنظُرُ مِن على ظَهْرِ حِمارِه باعتزازٍ إلى النّاسِ الذينَ كانوا يَسيرونَ على أقدامِهِم،
فيضرِبُ الحمارَ بالسَّوطِ كي يَتخطّاهُم بشَيءٍ مِنَ التَّعالي والغُرور.









كانَتِ السُّوقُ تَزْدَحِمُ بالناس.
وكانَ هؤلاء يَروحُونَ ويَجيئونَ ويتَكلَّمُونَ بأَصْواتٍ
عَالِيةٍ ويُلَوِّحونَ بأيديهم تعبيرًا عَن فرْحَتِهِم
بشِراءِ أغراضٍ جيِّدةٍ وبِلقاءِ الأصدِقاء.

ربَطَ جُحا حِمارَه بتأنٍّ إلِى جِذْعِ شَجَرةٍ،
وعقَدَ الحَبْلَ حَوْلَهُ ثلاثَ مرّاتٍ،
ومِن ثُمَّ أفرَغَ حُمولَتَهُ من على ظَهْرِ الحِمار.

بَعْدَئذٍ، فرَشَ جُحا بِساطَهُ القديمَ في المكانِ الذي كان يتَجمَّعُ فيهِ أكبرُ عَدَدٍ مِن الزبائنِ، وجلَسَ عليهِ مُتَرَبِّعًا، وراحَ يُنادي بأَعْلَى صَوْتِه:

– طازَه يا مِشْمِش! عَسَل يا مِشْمِش!

حبَّاتٌ صغيرةٌ تَذوبُ في الفَم! تُطَرِّي المَعِدَةَ، وتُسَهِّل الهَضْم!

فقالَ جارُهُ بتَعَجُّب: «يا لكَ مِن تاجرٍ بارِع!»

وقالَ آخَرُ: «لا بُدَّ أنَّ والِدَ هذا الفَتَى النَّشيط هو رَجُلٌ مَحظوظ!»

ابتَسمَ جُحا وقد غَمرَتْهُ السَّعادة.

وتهافَتَ عَلَيْهِ الزَّبائِنُ بِكَثْرَةٍ كي يَشْتَرُوا مِن بِضاعَتِه.





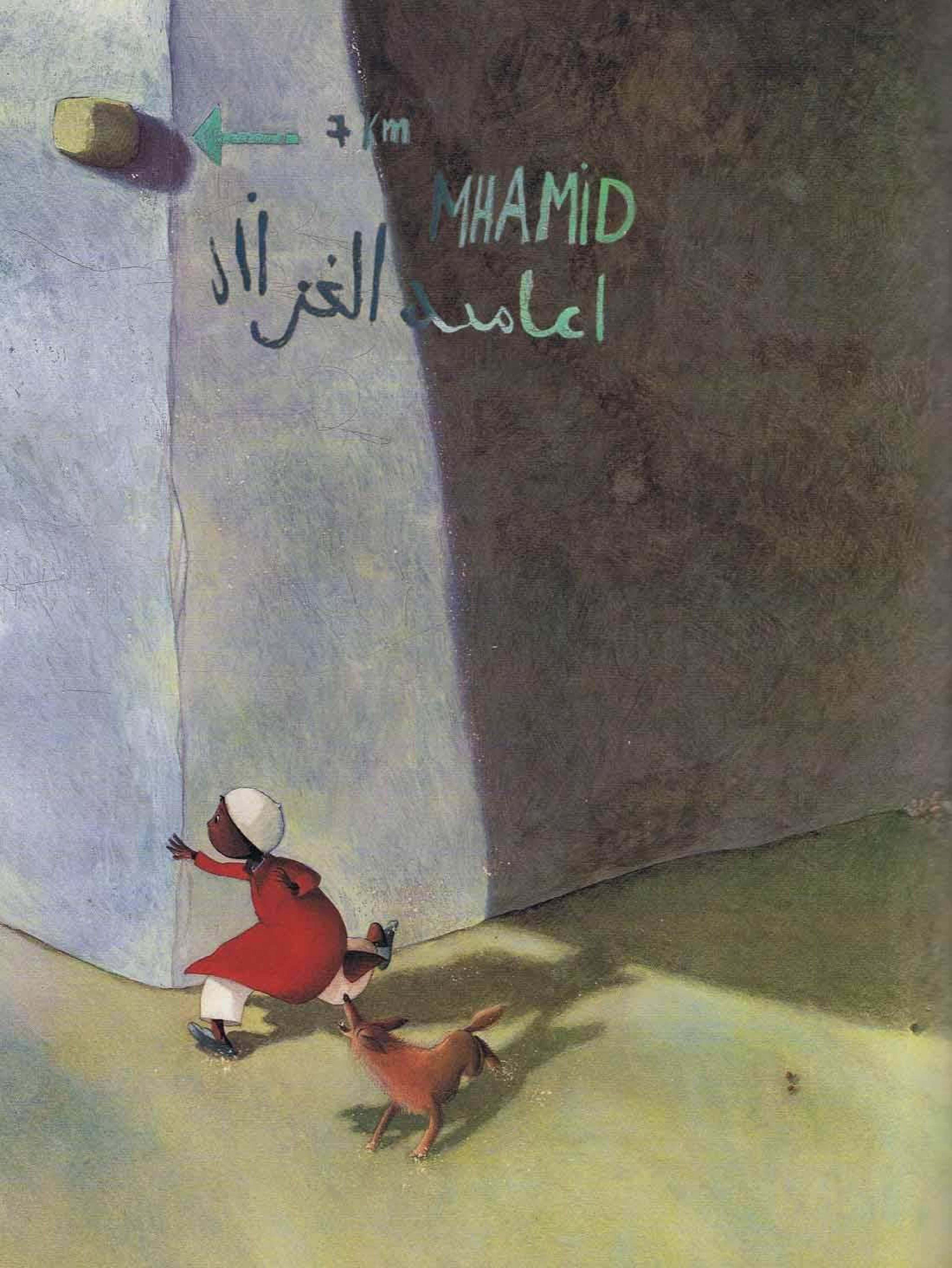






وعندما لَم يتبقَّ لديهِ أيُّ شَيْءٍ يَبيعُهُ مِنَ المِشْمِشِ أو البَيْض،
مَلأ سلَّتَيْهِ بالعَسَلِ وزيتِ الزَّيتونِ والثُّومِ والباذِنجانِ، كما أَوْصَتْهُ والِدتُهُ،
وعادَ إلى الشجَرةِ التي ربَطَ إليها حِمارَه.
وهناكَ بَدأَ قلْبُ جُحا يخفِقُ بقوّةٍ،
واحمرَّتْ وَجْنتاهُ حتّى أصْبَحَتا بلَونِ الفِلْفِلِ الأَحْمَر:
لَقَد وقَعَتِ المُصيبةُ واخْتَفَى الحِمار.

أُصيبَ جُحا بالهلَع، وأخذَ يَركُضُ مِن شجَرةٍ إلى أُخرى ويتفحَّصُ جَميعَ الدَّوابِّ
التي كانت تَنتظِرُ أصحابَها. لكنَّهُ لَمْ يَجِدْ حِمارَه... فصاحَ بأعْلى صَوتِه:
- اقْبِضُوا على اللِّصّ! اقْبِضُوا على اللِّصّ! لَقَد سَرَقَ أحَدُهُم حِماري!


7 km
MHAMID

إلاّ أنَّ صَوتَهُ ضاعَ في صَخَبِ الأحاديث.
نَظَرَ إليهِ بَعْضُ المارّةِ بلامُبالاةٍ، وتابَعَ آخرونَ أحاديثَهُم،
فيما رَمَقَهُ البعضُ الآخَرُ بطرَفِ أعيُنهم وهُم يتهامَسون.
وَسُرْعَانَ ما رآهُ تاجرُ بقرٍ مَفْتُولَ الشّارِبَيْن، فأشفَقَ عَليهِ وقال له:
- لا أحَدَ يَسْمَعُك مِن هُنا أيُّها الصَّبيّ. اِصْعَدْ على ذاكَ السُّلَّمِ الصَّغيرِ هناكَ
حتّى يَسْتَطيعَ الناسُ أن يَرَوْكَ ويُصْغُوا إلَيْك.

رفعَ جُحا أسفَلَ ردائِهِ، وصَعِدَ إلى آخرِ درَجاتِ السُّلَّم،
ثمّ نزَعَ فَرْدَتَي خُفَّيْهِ ورفَعهُما في الهَواء، كلُّ واحِدَةٍ بِيَدٍ، وهوَ يَتَوَعَّد.
وأخَذَ يَصيحُ وهو عاقِدُ حاجِبَيه:
- اقْبضوا على اللِّصّ! لقد اخْتَفَى حِماري! حَذار! حَذار!
إنْ لَم تُعيدوا إليَّ حِماري، فَسَوْفَ أفْعَلُ ما فعَلَهُ أبي يومَ سَرَقوا لهُ حِمارَه!
وستَندَمونَ على سُكُوتِكُم!
لأنَّ ما فعَلَهُ أبي لَم يَفْعَلْهُ أحدٌ مِن قَبْل.
وجميعُ من في القريةِ يَتذكَّرون ذلك.







اقْتَرَبَتْ مِنْهُ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ أثارَها الفُضُولُ وقَالَتْ لَهُ مُتَسائِلَةً:

- لَسْتُ أتذكَّرُ أيَّ شَيْءٍ.

فما الذي فعَلَهُ أبوكَ عِندما سرَقوا لَهُ حِمارَه؟

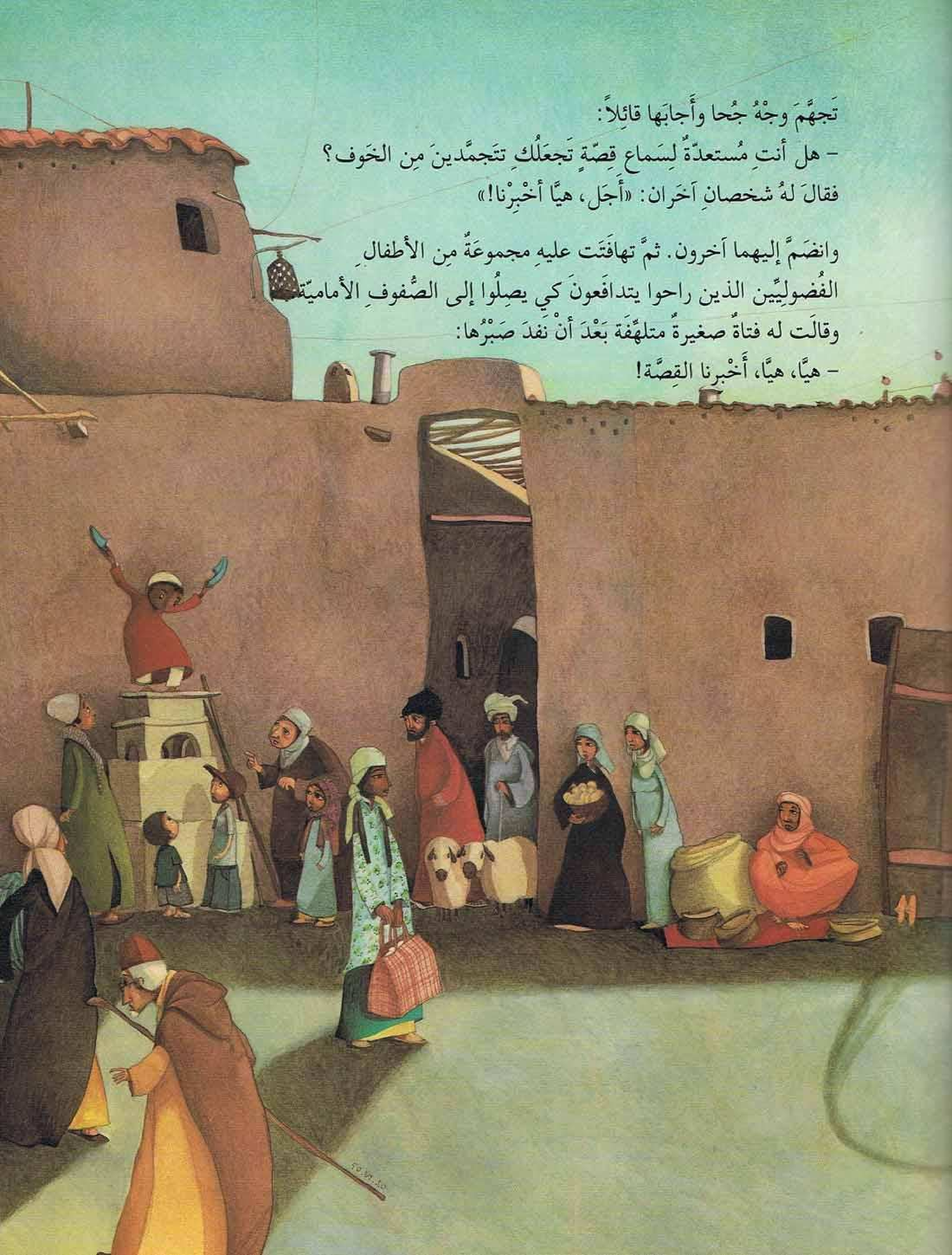
تَجهَّمَ وجْهُ جُحا وأَجابَها قائِلاً:

– هل أنتِ مُستعدّةٌ لِسَماعِ قِصّةٍ تَجعَلُكِ تتَجمَّدينَ مِنَ الخَوف؟

فقالَ لهُ شخصانِ آخَران: «أَجَل، هيَّا أَخْبِرْنا!»

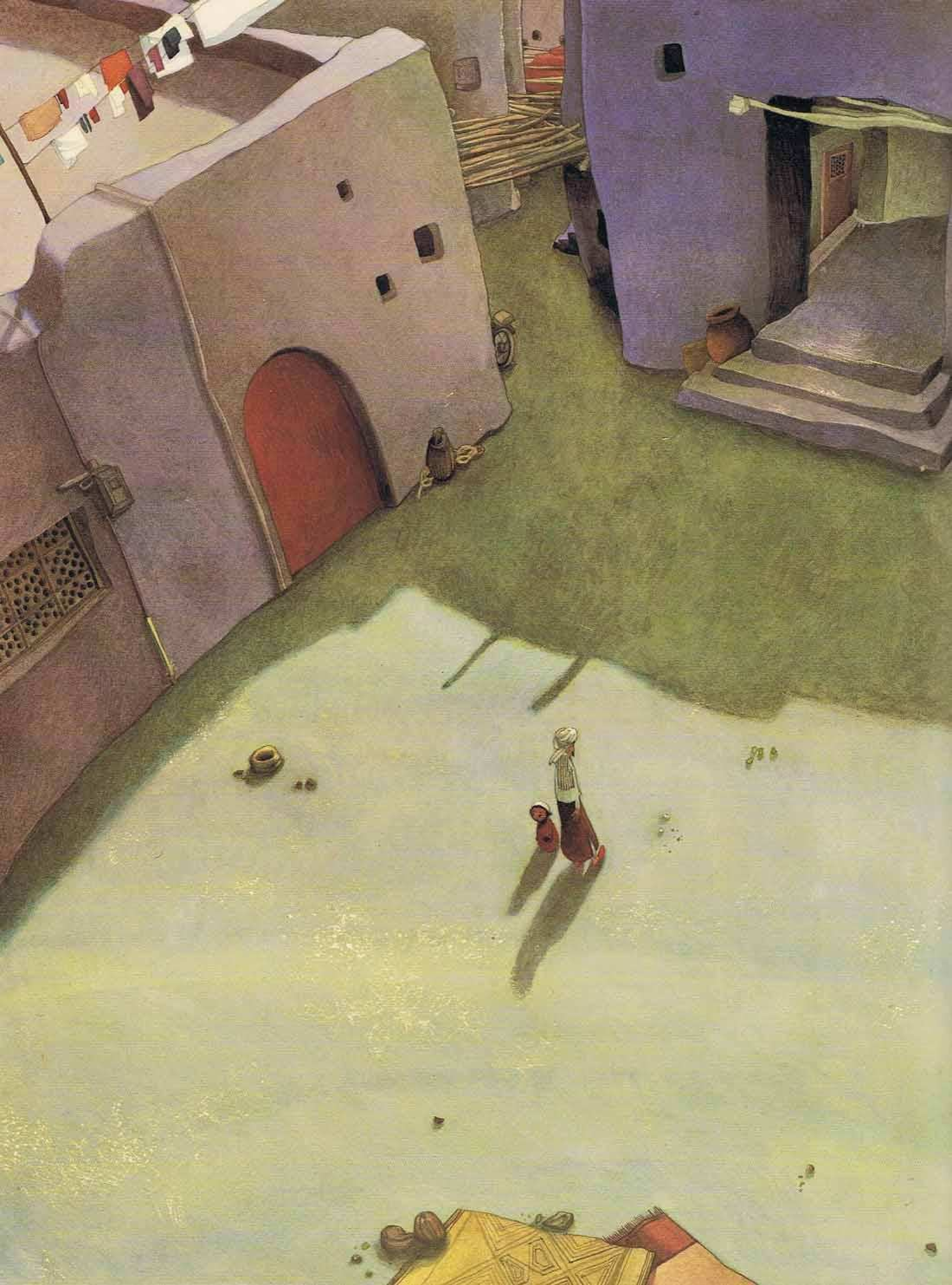
وانضَمَّ إليهما آخرون. ثمَّ تهافَتَت عليهِ مجموعَةٌ مِنَ الأطفالِ الفُضوليِّين الذين راحوا يتدافَعونَ كي يصِلُوا إلى الصُّفوفِ الأماميّة. وقالَت له فتاةٌ صغيرةٌ متلهِّفَة بَعْدَ أنْ نفدَ صَبْرُها:

– هيَّا، هيَّا، أَخْبِرنا القِصَّة!



بَدَأَ جُحا يَرْوي قِصَّتَهُ فَقال:
"حسنًا. حَصَلَ ذلكَ في منتَصفِ فَصْلِ الصَّيف.
كانَ والدي مُصطفى قد أطالَ في الحَديثِ مع أصْدِقاءَ لهُ
وَهوَ يَحتسي عِندَهُم الشّايَ بالنَّعناعِ فيما كنتُ أنا أَغْفو على البساط.
وعِندما عُدنا إلى ساحةِ السُّوقِ، كانَت خاليةً تمامًا مِنْ أيِّ إنسانٍ أو دابَّة.
فاستَنتَجَ أبي أنَّ أحدَ الأنْذال قد سَرَقَ حِمارَنا وأنَّ عليهِ أن يَسْحَقَ ذلكَ الشِّرِّير
ويحوِّلَهُ إلى هَريسَةِ باذِنْجان..."





"... نظَرَ والِدي في كُلِّ الاتِّجاهاتِ لعَلَّه يَكْتَشِفُ الطَّريقَ التي سلَكَها اللِّص.
وفَجْأةً، سَمِعْنا صوتَ حِمارِنا يَتَرَدَّدُ مِن صَوْبِ حَقْلِ الزَّيتون.
آهٍ! كَم كانَ نَهيقُهُ مميَّزًا:
«هاَ آ، هاَ آ، هاَ آ»..."

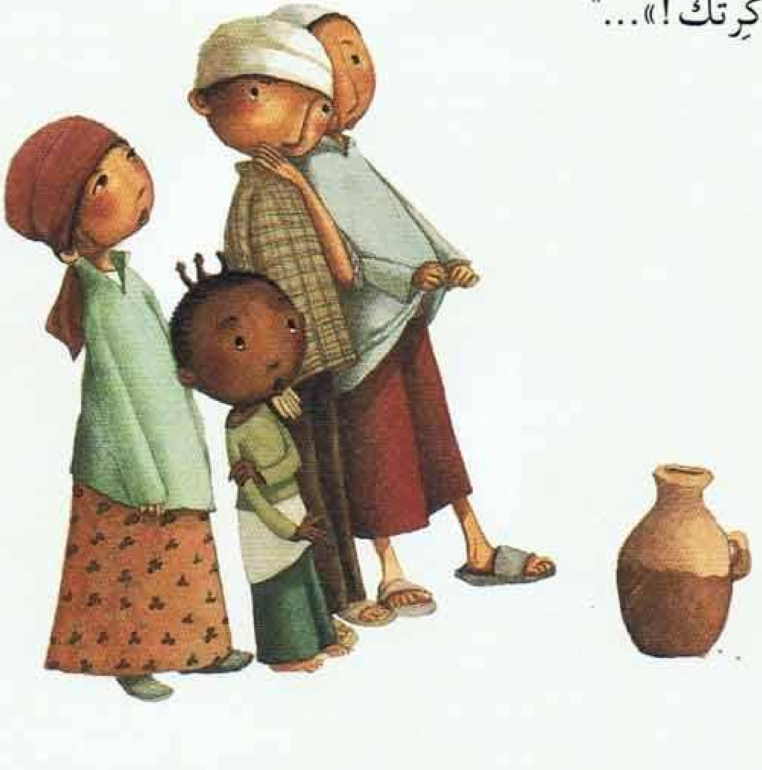
ثُمَّ فتحَ جُحا فمَهُ ونَفخَ صدْرَهُ كي يُقلِّدَ الحِمار.
فقالَتِ المرأةُ العَجوز: «هذا أمْرٌ عَجيب! لم أسمَعْ في حَياتي أبدًا حِمارًا يَنهَقُ بهذهِ الطريقة.»
فأجابَها بحَزْم: «الحميرُ تَنهقُ على هذا النَّحوِ عِندما تكونُ حَزينَةً جدًّا!»
وتابَعَ جُحا مُسْتَرسِلاً:
"وهكذا، تَوَجَّهْنا أنا ووالدي نحوَ أشجارِ الزَّيتون.
لكنَّ نَهيقَ الحِمارِ كان يَبْتَعِدُ عنا كلَّما اقْتَرَبْنا مِنْه..."





توَقَّف جُحا قليلاً عَنِ الكَلامِ كي يَشرَبَ مِن إبريق الماءِ الذي ناوَلَهُ إيّاهُ تاجرُ البقر. ثُمَّ لاحَظَ أنَّ عددَ المُسْتَمِعينَ قَدِ ازداد، فشعَرَ بالفَخْرِ وعادَ ليُكمِلَ قصَّتَهُ بصَوتٍ أقوى.

«... مَشينا أنا ووالدي مَسافَةً طويلَة.
كانَ بَعْدَ ظُهْرِ ذلكَ اليوم شاقًا، وقَد سِرنا خلالَهُ على طريقٍ
مَليئةٍ بالحَصَى ومِن دونِ ظِلٍّ يَقينا مِن حَرارَةِ الشَّمس.
وعِندَ حُلولِ الظَّلام، وفيما كُنّا خَلْفَ حائطِ إحدى الحَدائق،
لَمَحْنا رَجُلاً يرتَدي قَميصًا باليًا ويَعتَمِرُ طاقيَّةً تَصِلُ حتّى أذُنَيه.
كانَت عَينا ذلِكَ الرَّجُلِ صَفراوَيْن مثْل عَينَيِّ النَّمِر، ولِحيتُهُ سَوداءَ وطويلةً جِدًّا.
وَقَف والِدي بوَجْهِ ذلِكَ اللِّصِّ وسأَلَهُ بصَوتٍ مُخيف: «أينَ حِماري؟»
فأجابَهُ الشِّرّيرُ اللَّعين: «أيُّ حِمار؟»
فَقالَ لَهُ والِدي:
« حَسَنًا! سوف أُنْعِشُ لكَ ذاكِرَتَك!»...»





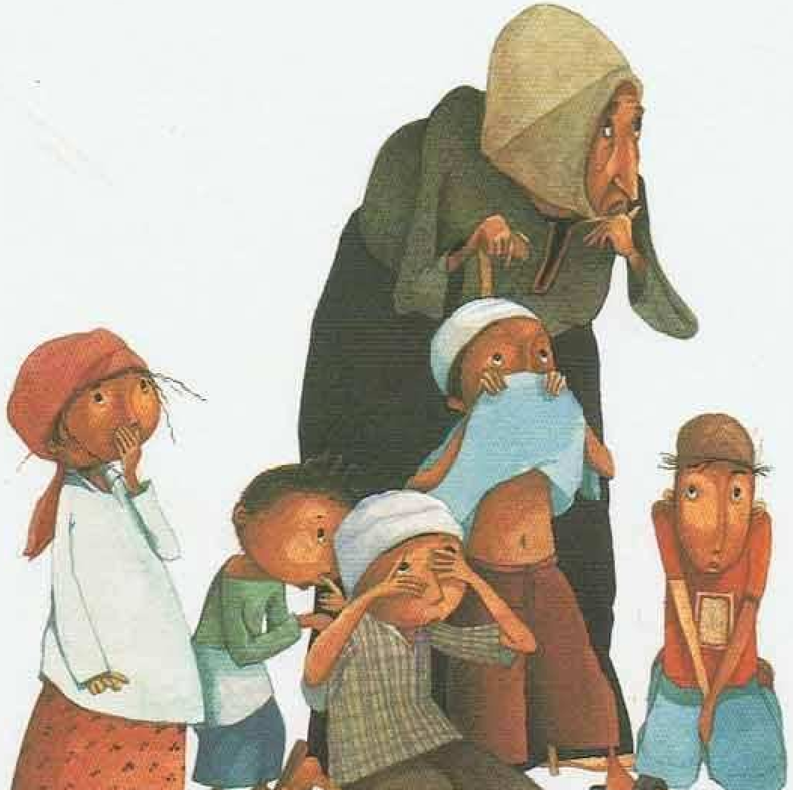




«... عندَئذٍ، أمسَكَ والدي اللِّصَّ مِن لِحْيَتِهِ الطَّويلَةِ المُتَدلِّيَة، وراحَ يَفْتِلُهُ في الهواءِ بقوّةٍ،
كَما تَفْتِلُ مَراوِحُ الطاحونَةِ، لدرَجةِ أنّي سَمِعْتُ الهواءَ يَصفِرُ كالرِّياح مِن سُرْعَةِ الدَّوَران.
ثمَّ سألَهُ والِدي بعدَ ذلك: «والآنَ، قُلْ لي أينَ خَبّأتَ حِماري؟»
فكرَّرَ اللِّصُ بكُلِّ وَقاحة: «لا أَدْري عَمّا تتكلَّم!»
عندئذٍ، أخرَجَ أبي خِنجَرًا مِن زِنّاره...»

لدى سماعِهم ذلِكَ، أطلَقَ الأطفالُ الصِّغارُ صَرَخاتِ الذُّعْرِ والهَلَع،
فَعلَت على وَجْهِ جُحا ابتِسامَةُ الظَّفَر لبَراعَتِهِ وأوضَحَ قائلاً:
«إنّ شفرَةَ الخنجرِ تَلْمَعُ تحتَ ضَوء القَمر كَما يَلْمَعُ سَيفُ الوزير!» وتابع قِصَّتَه:
«... فقالَ والدي وهو يُقرِّبُ خِنجرَهُ مِن اللِّص: «أتَسْخرُ مِنّي أيّها السّافلُ اللَّعين؟!»...»

«... وعَلَى الفَوْر، سَارَعَ اللِّصُّ إلى الاعْتِرافِ وعَيْناهُ تَجْحَظان مِن الخَوف:
- إنّ حمارَكَ مُعَلَّقٌ على شجَرَة!
- مُعلَّقٌ على شجَرة؟ هَلْ تَسْخَرُ منّي أيُّها الحَقير؟
ثُمَّ قَرَّبَ والدي رَأسَ السِّكّينِ من عَيْنَي اللِّص.
فقالَ اللِّصُّ وهو يُقْسِمُ مُتَأَوِّهًا: «واللهِ لأَحْلِقُ لِحيتي إن كُنتُ أكذِب.
حمارُكَ مُعلَّقٌ على الشَّجَرةِ الكَبيرةِ في الجِهَةِ الأُخرَى مِن الحَقْل.»...»

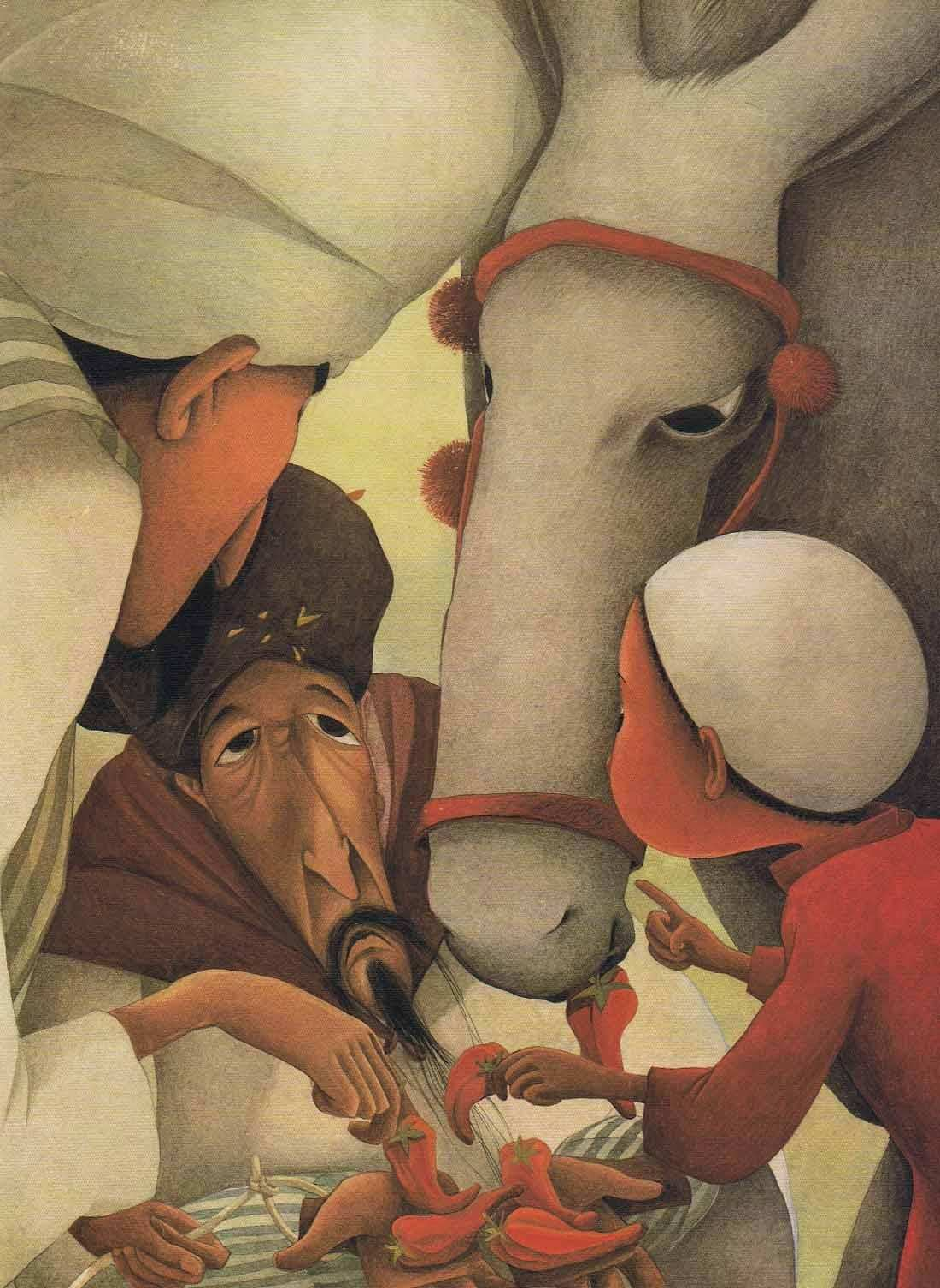




لا شَكَّ أنَّكُم تَعْرِفونَ جميعًا أينَ تقعُ الشَّجَرَةُ الكَبيرَة...
في الجهةِ الأُخرى مِن حَقْلِ الزَّيتون.
حسنًا، فقد كان الحِمارُ مُعَلَّقًا هناكَ عَلى الأغصان.
وكانَتِ دُموعُهُ الكبيرةُ تَنْهَمِرُ مِن عَينَيه وتَسْقي زَهْرةً رقيقةً نَبَتَتْ في الأرْضِ الجافَّة.
آهٍ! كَم كانَ صعْبًا إنزالُهُ من ذلِكَ العُلُوِّ!
"... بعدَ ذلكِ، رَبَطنا رِجْلَي اللِّصِّ ويدَهُ اليُسرى بحبْلٍ،
ووَضَعنا أمامَهُ كَوْمةً مِن قُرونِ الفِلْفِلِ الأحْمَرِ الحَرِّ..."







«... ثمّ أمرَهُ أبي قائِلاً:
– أيّها اللّصُّ المُحتالُ، كُلْ هذهِ القُرون الحَرَّة حتّى تَشْتَعِلَ نارُ جَهَنَّمَ
في مَعِدَتِكَ وأمْعائِك وبَطْنِك.»

بقيَ الحَشدُ عاجزًا عن الكلام. فانتَهزَ رجُلٌ قصيرٌ وهزيلٌ،
يَعْتَمِرُ عِمامَةً مُلَطَّخةً ببِرازِ العصافير، حالةَ الانفعالِ التي سادَتْ
في المَكَان، وراحَ يَبتَعِدُ وهو يَتَلَفَّتُ بخَوفٍ وقَلَق.

عندما أنهى جُحا القِصَّةَ، انتعَلَ خُفَّيْهِ بِسُرعة، وقدَّمَت لهُ المرأةُ العجوز
كُوبًا من عصيرِ الليمونِ تَقْديراً منها لِبَراعَتِهِ في سَرْدِ القصَّة،
وقدَّمَ له أحَدُ الباعَةِ كَعْكَةً بالزَّيتونِ مَلْفوفةً بورَقةِ تينٍ،
فيما قدَّمَ لهُ شخْصٌ ثالثٌ حَفْنَةً مِن البلَح.

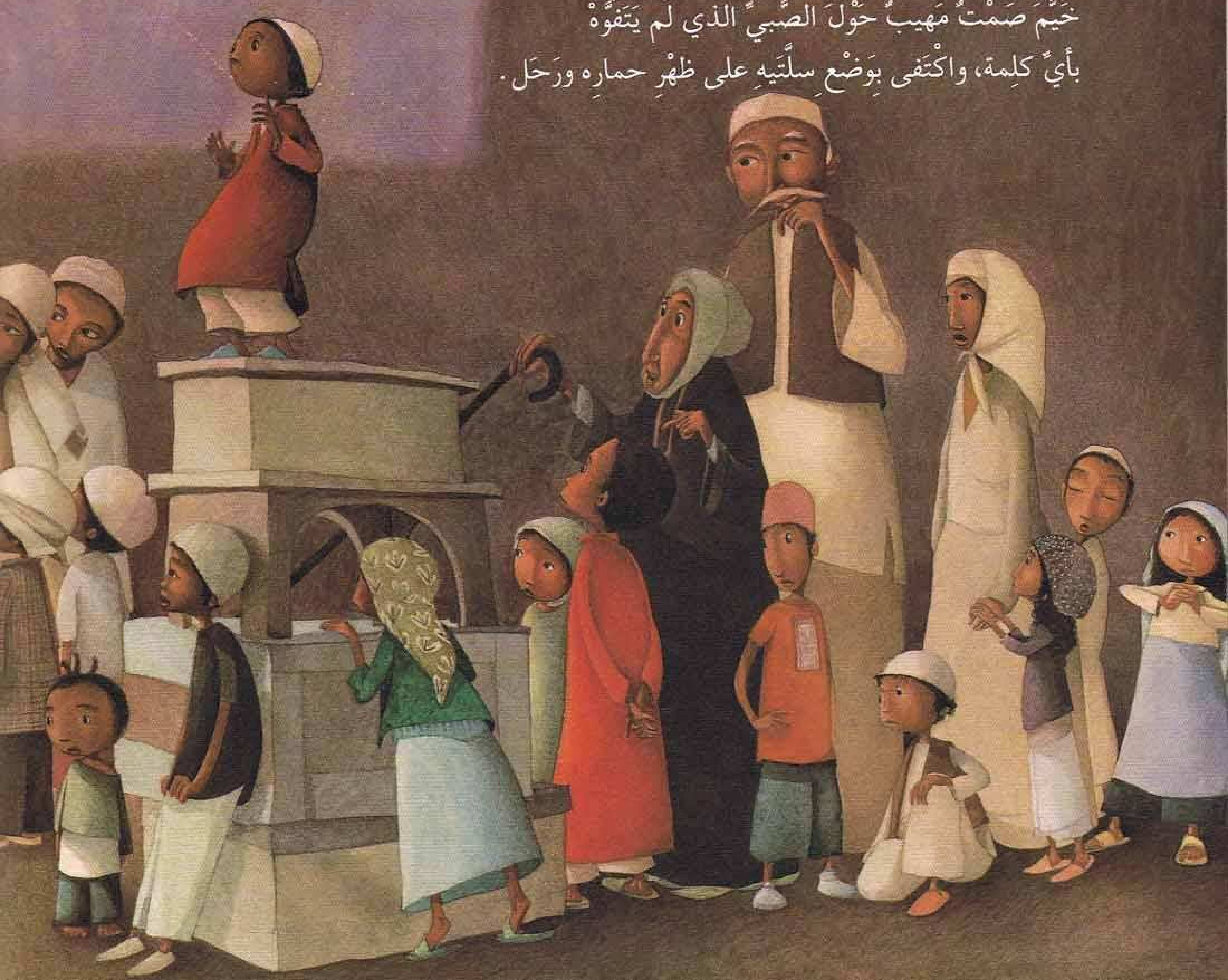


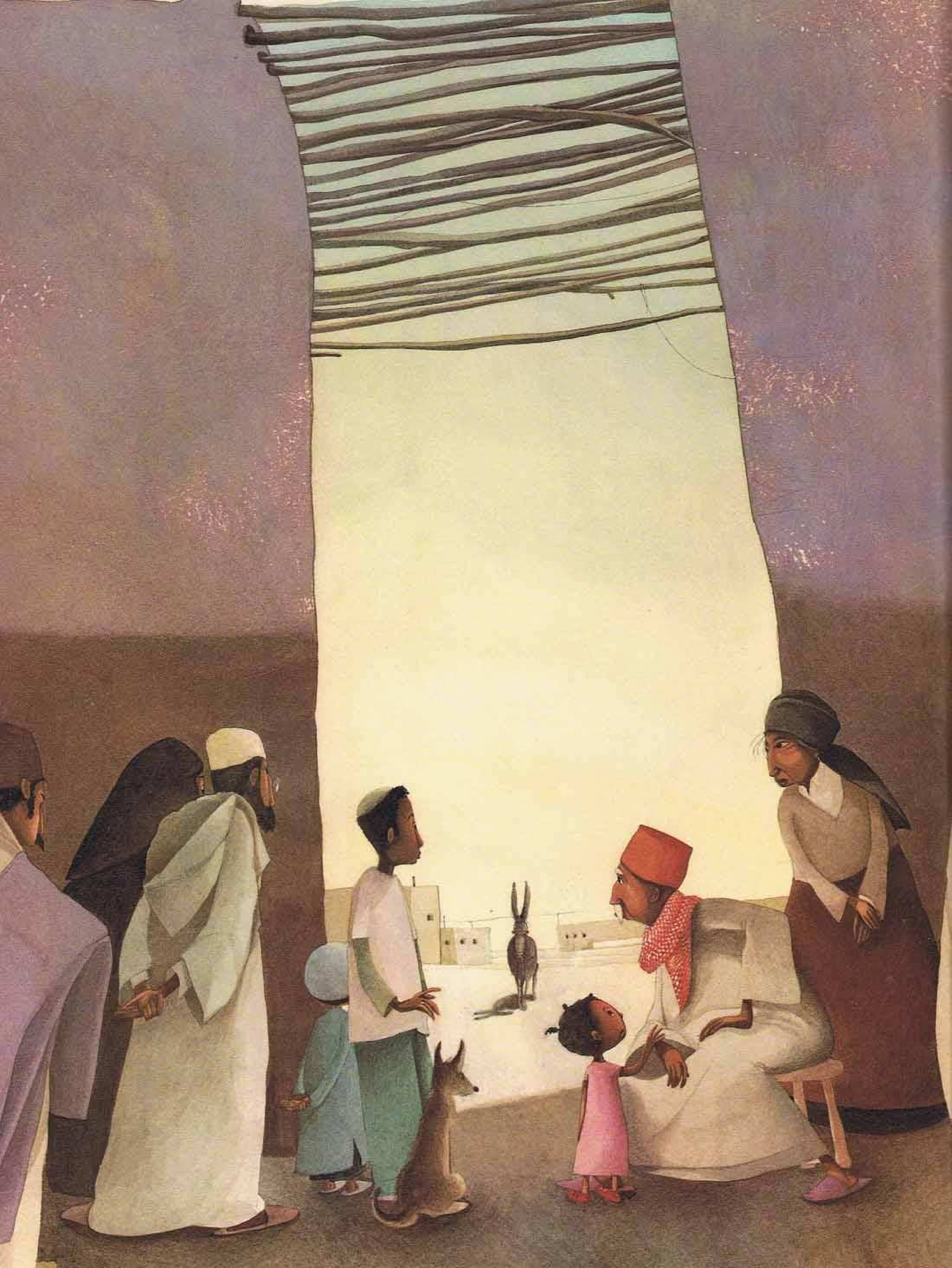


وفيما كانَ الحَشدُ يُبدي تَعليقاتِهِ على الحادثِ،
سُمِعَ صوتُ صَفيرِ سَوطٍ وصُراخُ أَحَدِهِم وهو يَقُول:
- اذْهَبْ من هُنا!

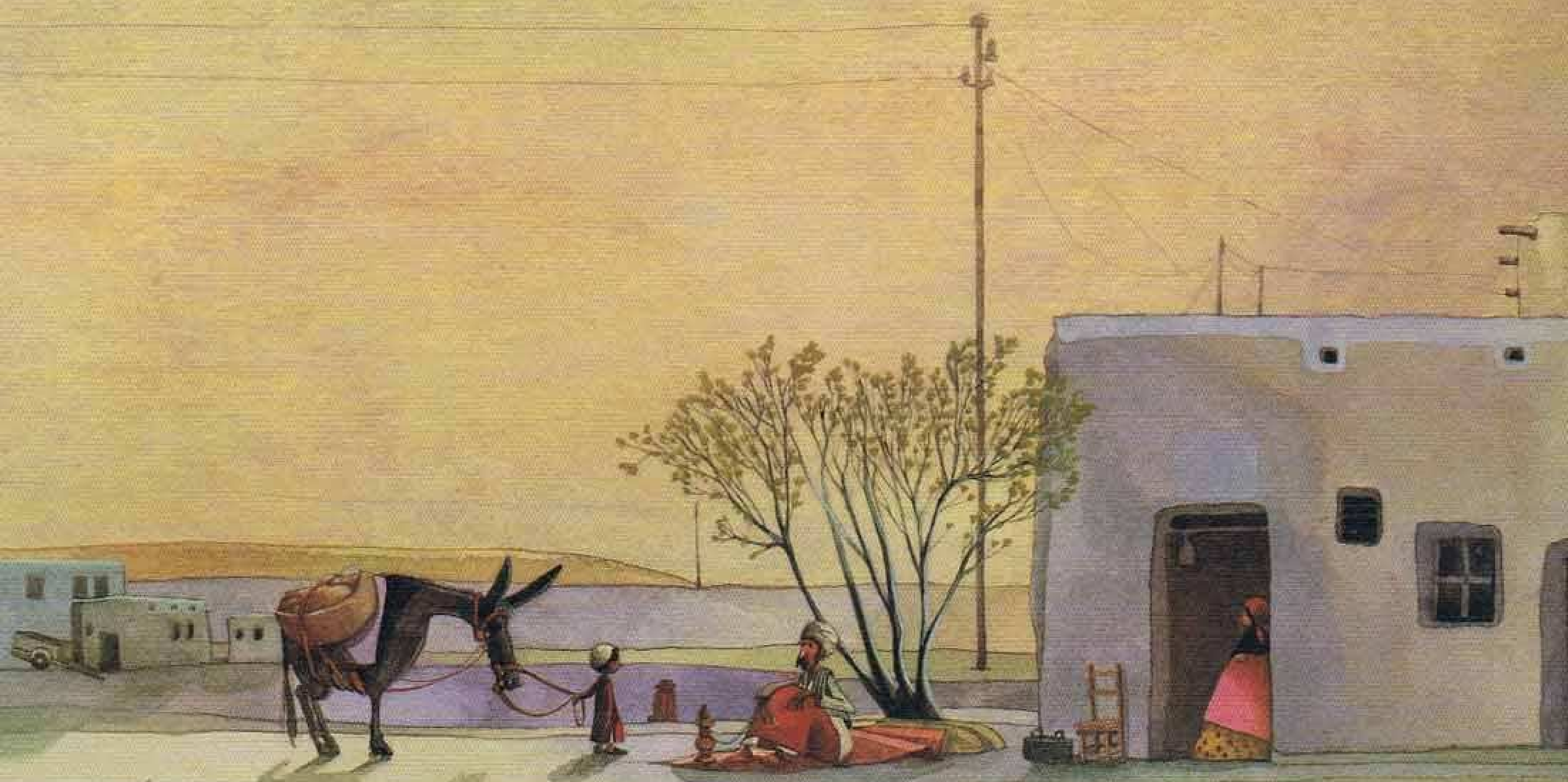
فاسْتَدارَ الحَشْدُ نحو الصَّوْت، ووَقَفَ جُحا
على أطرافِ أصابعِه وقلْبُهُ يكادُ يرقصُ مِن الفرَح
بِرؤيَةِ حمارِهِ وهو يتقدَّمُ بخُطًى صَغيرةٍ إلى وسَطِ
الساحةِ التي كانَت تحترِقُ تحتَ أشعَّةِ الشَّمس، وقال:
- منذُ أن أنقَذَ والدي حِمارَنا مِن غابةِ الأشجارِ
العريضةِ، وهو يعودُ إلينا كُلَّما سَرَقَهُ أَحَدُهُم.

خَيَّمَ صَمْتٌ مَهيبٌ حَوْلَ الصَّبيِّ الذي لَم يَتَفَوَّهْ
بأيٍّ كلمة، واكْتَفى بِوَضْعِ سلَّتَيهِ على ظَهْرِ حمارِهِ ورَحَل.





عِندما اقترَبَ جُحا مِن منزِلِه،
رأى والدَهُ جالِسًا تحتَ شجَرةِ التِّينِ الوارِفَةِ الظِّلال، يُدَخِّنُ النَّرجيلة.
فاقترَبَ منهُ بِفَخْرٍ واعْتِزازٍ وهو راكِبٌ على ظَهْرِ الحِمار.
قالَ له والدُه بِصَوْتٍ هادِئ:
- ها قَد عُدتَ أخيرًا يا ولَدي، يا فِلْذةَ كَبِدي ونورَ حياتي.
ماذا كُنتَ تَفعلُ طيلةَ ذلكَ الوقت؟
- كنت أُثَرْثِرُ قليلاً!
- وما هي المَواضيعُ المُثيرَةُ التي يَتَداوَلُها الناسُ في السُّوق؟



نَزَلَ جُحا عَن حِمارِه وشَرَحَ قائلاً:
- كنَّا نتحَدَّثُ عَنِ الحيواناتِ التي تَخْتَفي فَجأة.
وأنْتَ، ماذا فعلْتَ عندما سَرَقوا مِنكَ حِمارَك؟

رفَعَ الوالِدُ ذِراعَيْهِ مُسْتَسْلِمًا وأجاب:
- وماذا تُريدُني أن أفعَل؟ لَقَد عُدتُ سَيْرًا على الأَقْدام!



في صَباحِ هذا اليَوم، توجَّه جُحا إلى السُّوق،
فجَلَسَ على بِساط،
وراحَ يَتفاخَرُ بِجودَةِ مُنتَجاته.
ولكنَّ أحدَ الأشخاصِ سَرَقَ لَهُ حِمارَه.

ولِكَي يَكْشِفَ الفاعِل،
ابتكَرَ جُحا قصَّةً من نَسْجِ خَيالِه
أذْهَلَت كُلَّ الجُمُوعِ المُحْتَشِدة...

9 789953 374383
www.academiainternational.com